وفي صباح احد ايام شباط من السنة ١٨١٦ وجد الشرط عند حلف اكمة تروكاديرو رجلاً رثّ الهيئة ممتقع اللون مُلقًى على الحضيض دون حراك فظنّوهُ ميتاً الّا انّهم رأوهُ بعد قليل يتحرّك ثم رأوا بعينيه وطلب اين قصرهُ ثم غلب عليهِ الهذيان فكان يخبط ويخاط ويذكر ما لهُ من الغنى الواسع. فعرف الشرط بانهُ مُصاب بشعوره فنقلوهُ الى مستشفى المجانين. وعرفهُ بعض النظّار فأعلموا الاطبّاء بحالهِ. فجعلهُ هؤلاء عبرةً لابحاثهم ودقّقوا النظر في جنونهِ طول مدّة اقامتهِ في ذلك المأوى اعني الى سنة وفاتهِ في كانون ٢ من السنة ١٨٤٦ فبنوا عليهِ ملحوظات شتى

(قلنا) انّ اطبّاء الروح كانوا احرى بدرس هذا الداء في ذلك المصاب المشوّه فيبنوا لمن ابتُلي بالطمع ما يناله من الوجع. فبهذا البيان قد صحّ قول الحكيم: من لم يقنع بالقليل لم يكتفِ بالكثير. ونعم ما قال الشاعر:

افادتني القناعةُ كلَّ خيرٍ وما عزٌّ أعزُّ من القناعهْ
فأجعلُها لنفسيَ رأس مالٍ وآخذُ بعدها التقوى بضاعهْ

مؤتمران دينيّان في عاصمة الانكليز

نظر للاب لويس شيخو اليسوعي

ان استحقّ عصرنا بان يُدعى عصر العلوم والمعارف فيحقّ لهُ ايضاً بان يُسمّى بعهد المؤتمرات. لانّ اهل زماننا قد ادركوا بالاختبار انّ الاعمال العظيمة لا تقوم الّا بالاتحاد وبجمع القوى. وليس اتحاد الّا بالتقرّب وتبادل الافكار. وهذا ما قصدهُ ارباب الدُّول واصحاب العمل بعقد المؤتمرات ان يضمّوا انوار العقول الى بعضها فتتمهّد بذلك الامور وتتكشف الشبهات وتزيل المشاكل

وقد تعدّدت هذه المؤتمرات الى حدّ بالغ فمنها للسياسة ومنها للعلوم ومنها للمشروعات الخيريّة. ولو سردنا ما عُقد منها في هذا العام وحدهُ لأناف على العشرين مؤتمرًا وقد ذكرنا منها في المشرق (ص ٧٣٧) اخبار مؤتمرين توفّقنا الى حضورهما فبيّنا ما نجم عنهما من الفوائد لتقدّم العلوم التاريخيّة والآداب الشرقيّة

ومما استوقف ابصار ذوي العبرة في السنة الجارية مؤتمران دينيان عُقدا في عاصمة الممالك البريطانية وصار لكليهما شهرة واسعة فلم تكد تخلو جريدة مهمة من ذكرهما وايضاح شأنهما وتفصيل اعمالهما. واوّل هذين المؤتمرين قام به الاكليروس الانكليكاني في اواسط حزيران للبحث في شؤون الكنائس البروتستانية الانكليزية. واما الثاني فكان مؤتمرًا كاثوليكيًا وأحد المؤتمرات القربانية العمومية التي يُدعى اليها الكاثوليك من كل البلاد للمفاوضة في الامور المتوطة باعظم اسرار الدين المسيحي اعني سرّ القربان الاقدس قطب الحياة الروحية في كنيسة المسيح ومركز دائرتها. فقد رأينا ان نلخّص هنا اخبار المؤتمرين ليقف الشرقيون على نتائجهما ويروا بالقابلة ما تقصده كل كنيسة من هذه الاجتماعات وما تستفيده لخير الرعايا وترقي العمران وانماء روح الدين

١ . مؤتمر الانكليكان

هذا اول مؤتمر عام أُقيم في لندن للنظر في الشؤون الدينية واحوال الكنائس الانكليكانية. وقد كان زعماء الدين قبل ذلك يعقدوا مجتمعات مذهبية لا يحضرها غير الاكليروس البروتستاني دون العالمين. وآخر اجتماع جرى من هذا الصنف انما جرى سنة ١٨٨٨ في قصر لمبث (Lambeth) حضره ١٤٥ اسقفًا مع السيدات نسائهم

فبعد عشرين سنةً افتُتح هذا المؤتمر للكنائس الانكليكانية في ١٥ حزيران في كنيسة وَسْتمِنستر الكاتدرائية بحضور سبعة آلاف من المندوبين الذين قدموا من كل انحاء البلاد الانكليزية ليشتركوا في اعماله. والمندوبون منهم اكليريكيّون ومنهم عالميون ومنهم رجال ومنهم نساء وهم يمثلون بلادًا عديدة وشيعًا متفرّقة لا يجمعها في الآداب الدينية والمعتقدات الّا مجرّد الاسم حتى انّ كثيرين منهم لم يرضوا ولا باسم المؤتمر. فلم يصادقوا على تسميته بمؤتمر الانكليكان او الكنائس الانكليكانية

وكانت الدولة الانكليزية اوفدت من قبلها رأس وزرائها المستر أسكيث (Asquith) فقام في الجلسة الافتتاحية ورحّب بالوفود ثم ذكّرهم بما يُبنى على مجتمعهم من الآمال الطيبة ليزيلوا الشرور التي تنقض اركان الهيئة الاجتماعية ويرشدوا الناس الى الوسائل التي تؤدي بهم الى الاتحاد والترقي. ولا غرو انّ للدين قدرةً على ذلك تفوق على غيره وتضمن له بالنجاح

وفي غد ذلك اليوم باشر المندوبون بالعمل وكانوا قسموا تسهيلاً للابحاث وفود المؤتمر الى سبعة اقسام عُهد الى كل قسم منها مباحث خصوصيَّة ترجع الى اربعة ابواب وهي: ١ً المعتقدات الدينيَّة في الكنيسة. ٢ً النظام الكنسي والآداب الكنسيَّة. ٣ً الكنيسة والهيئة الاجتماعيَّة. ٤ً الكنيسة بازاء الملل والاديان. وها نحن نلخّص هنا بعض الابحاث التي دارت بين المؤتمرين في تلك الموادّ من ١٦ حزيران الى ٢٤ منهُ

١ (المعتقدات الدينيَّة) يعلم الكاثوليك ان الاعتقادات الدينيَّة عند البروتستانت تختلف اختلافاً عظيماً اذ ليس عندهم من يحدّد القضايا كما في الكنيسة الكاثوليكيَّة ويزيل الضلال ويقرّر ما ظهرت موافقتهُ لتعليم الاسفار المقدَّسة والتقليد الرسولي. ومن ثم تزداد كلّ يوم الاحزاب الدينيَّة وتتباين العقائد ايّ تباين بين البروتستانت. وعليهِ لم يجسر اصحاب هذا القسم من المؤتمر ان يخوضوا كثيراً في الابحاث الاعتقاديَّة لا بل ودُّوا لو نُحّيت من لائحة المؤتمر لئلّا تكون حجر عثرة بينهم. بيد انَّ البعض ألحُّوا على وضعها حتى سمحوا لهم بالمداولة في الوحي وفي الاسفار المقدَّسة. فنزل في هذا الميدان فئة من العلماء الانكليكان بعضهم اميريكيون وبعضهم انكليز فدافع وئيس كهنة كنتربري واس (Wace) عن صحّة الوحي والاسفار المنزلة ووافقهُ على رأيهِ القانونيّ سنداي (Sanday) من اساتذة اكسفرد لكنَّ فئة أُخرى اسرعت لنقض اقوال السابقين كالاساتذة كنّات (Kennett) وبركت (Burkitt) من كمبردج. وبرناي (Burney) من اكسفرد فانكروا الوحي وانزلوا الكتب المقدَّسة منزلة التآليف البشريَّة القابلة للغلط. فحمي وطيس الجدال بين الفريقين. وكانت نتيجة النزاع انَّ اسقف كلكوتا المتقدّم في هذا النادي سمح لكلّ منهُ ان يدافع عن رأيهِ كما يشاء. فكان لهذا الحكم اسوأ وقع في قلوب البروتستانت الذين يعدّون التوراة منزلة ويعتبرون اقوالها من كلام الله الذي لا ريب فيهِ. وناهيك بهذا الجدال مثلاً عن تعدُّد الآراء وتناقضها في الكنيسة الانكليكانية فيُسمح لواحد ان يثبت ما ينكرهُ الآخر ليس فقط في بعض الاعراض والمسائل الثانويَّة ولكن في الامور الجوهريَّة والابحاث الاساسيَّة كالوحي وصحّة الاسفار الالهيَّة

٢ (النظام الكنسيّ والآداب الكنسيَّة) كان لهذا الفرع مجال واسع اذ تيطت بهِ ابحاث متعدّدة. فمن جملة المباحث التي عُني بفحصها الحضور مسألة المدارس

الاكليريكيَّة وتهذيب المترشحين للكهنوت الانكليكاني سواء كان في انكلترَّة او في الممالك الاجنبيَّة. وقد تأسَّف اكثيرون على قلَّة الذين يطلبون الدعوة الاكليريكية بنزاهة حبًّا بالخير العمومي ليس لغايات شخصيَّة. ثم بحثوا لهذا الداء دواء لعلَّهم يجدوا سدًّا للخلل وخصوصاً في الرسالات الاجنبيَّة حيث لا يجدون غير الأجراء. فظنُّوا ان الامر يمكن تلافيه بزيادة اهتمام في تعليم المرشحين لخدمة الدين. لكنَّهم لم يتفقوا على طرائق هـذا التعليم أيكون دينيًّا محضًا او يكون علميًّا او مختلطاً وما هي التعاليم الدينيَّة التي ينبغي تلقينها هؤلاء الطلبة ليعلموها المؤمنين فتضاربت الآراء دون نتيجة

ومن المسائل التي تعود الى النظام الكنسيّ وبحث فيها المؤتمرون مسألة الاسقفيَّة هل للاساقفة في الكنيسة رتبةٌ لازمة لازبة انشأها السيد المسيح او هي رتبة ثانويَّة يمكن المؤمنين ان يستغنوا عنها. فقرئت رسالة لاحد علماء كمبردج المعدودين الاستاذ غواتكين (Gwatkin) بيَّن فيها ما يرتئيه بعض علماء الانكليكان في شأن الاسقفيَّة الذين ينكرون ان المسيح انشأ هذه الدرجة ويندِّدون باساقفة انكلترَّة وسيرتهم العالميَّة ويدعونهم عمَّالاً للدولة ليس للمسيح. وكان هـذا القول داعياً لجدال عنيف بين الجمهور فمنهم من قرَّرهُ ومنهم من انكرهُ. وقال بعضهم اذا صحَّ هذا القول أُلغيت بسببهِ الدَّرجات الكنسيَّة من الكنيسة الانكليكانيَّة واصبحت هـذه الكنيسة كباقي شيع اخرى من البروتستانت. امَّا نتيجة البحث فبقيت مبهمةً لم يمكن لرؤساء المجمع ان يحدِّدوا فيها شيئاً

وقد وقع بين المندوبين خلاف آخر بخصوص اتحادهم مع الشيع البروتستانيَّة غير الانكليكانيَّة كاللوترانية مثلاً والكلونيَّة فقام شعبٌ منهم يدافعون عن فصل الكنيسة الانكليكانيَّة عمَّا سواها لان خواصَّها كما زعموا مخالفة لخواصّ تلك الكنائس فاكليروسها وطقوسها وتعاليمها تفترق عن تلك الكنائس فلا تحسن ان تمتزج بها. لكنَّ قسماً آخر من اهل المؤتمر لم يوافقوا هؤلاء وفنَّدوا مزاعمهم وكان من جملتهم اسقف جبل طارق الذي أثبت ان كنيسة المسيح لا يمكنها ان تنحصر في أمَّة واحدة بل تشمل كل البلاد التي راجت فيها مبادئ الاصلاح البروتستاني رغماً عن الاختلافات التي طرأت على احوال الكنيسة وتعاليمها في تلك البلاد

ومن المطالب التي عُرضت على اصحاب هذا القسم التعليميّ مطلبٌ آخر احبَّ

كثيرون لو ضُرب عنهُ الصفح لئلّا يضحي عقبةً في سبيل انصار الدين. فسألت فئة من اعضاء المؤتمر ان تُحدَّد المعتقدات الجوهريّة التي يجب على أتباع الكنيسة الانكليكانيّة ان يؤمنوا بها والعقائد الثانويّة التي يمكن الاعضاء عنها بل يجوز جحودها دون ان يُفرز القائلون بها عن جسم الكنيسة. فكان هذا المبحث كبركان ثار انفجر وكاد يلتهم كل شيء فيشتّت شمل المجتمعين. فمنهم من كان يزعم انَّ المسيح لم يحتم على تلاميذه معتقدًا صريحًا وانَّما يطلب فقط الايمان بشخصه الكريم ليس الّا. ومنهم من ارتأى انَّ العقائد ليست من جوهر الايمان وانَّما الاعمال الصالحة هي التي تقرّبنا الى المسيح. وذهب غيرهم انَّ الكتاب المقدَّس هو القاعدة الوحيدة للايمان دون تعليم آخر. وطلب غيرهم انَّ يوسّع ذلك النطاق ويُدخل في الجوهريّات مع الكتاب المقدَّس دستور الايمان والاسرار والنظام الكنسيّ. وناصب هؤلاء قوم آخرون اكثرهم اميركيّون فرأوا انَّ هذه لَمن النوافل المستعارة من الكنيسة الرومانيّة ومن ثم لا يقبلون بها. فتشعّبت الآراء وعلا الضجيج وخاف الاساقفة الحضور ان ترتبك الامور ويختلط الحابل بالنابل فسعوا باصلاح ذات البين ولم يتّفقوا على نتيجة

وقام بعض المندوبين ممَّن يتكرون لزوم الدرجات الكنسيَّة فطلبوا تعزيز سلطة العاملين في تدبير الكنيسة ونظر اوقافها والاهتمام بكل زمنيّاتها حتى اذا فصلت الكنيسة عن الحكومة في مجلس الدولة بقيت الكنيسة ثابتةً بمساعدة العاملين. ولم يكتفِ البعض بذلك بل طلبوا التصويت للعاملين في انتخاب الاكليروس ولاسيما تعيين الاساقفة. وزاد قوم من ممثلي الحكومة على هذه الاقتراحات بأن يُقام من قبل الدولة بعض العاملين ليتفقّدوا اعمال خدمة الكنيسة ويصلحوها. فلم يرضَ بهذه المطاليب معظم الاكليريكيين لئلّا تستعبد الحكومة ارباب الدين كما يجري الامر في روسية.

وممَّا الحَّ عليهِ بعض الحضور انشاء جمعيّات نسائيّة لبعض المشروعات واطرأوا في مديح «الشمّاسات» و«الاخوات» اللواتي يساعدن في المساعي الخيريّة كالمستشفيات والميتم وتعليم الفتيات وطلبوا ان يُزاد في عددهنَّ وذكروا الراهبات الكاثوليكيّات وما يؤدينَ من الخدم لكنيستهنَّ. فكان لكلامهِ الوقع المحمود. لكنَّهُ نسي انَّ زعماء الشيعة البروتستانيّة في انكلترَّة مثل كنفر وكرومويل ألغوا كلَّ الرهبانيّات بغضًا بالكنيسة الكاثوليكيّة وهم اليوم يقرّون بمنافعها ويحذون بالكاثوليك في تجديدها.

فيا لها من كنائس تتأوّن كأبي قلمون فتعظّم اليوم ما رذلتهُ امس

. ومن المساعي المشكورة التي نالت رضى اصحاب المؤتمر بخصوص الآداب الكنسيّة تصويبهم سهام اللوم نحو الطّلاق واتّفق كثيرون على ان لا يحضروا باسم الكنيسة اكليل الذين طلّقوا نساءهم مهما قرّرهُ من هذا القبيل القانون المدنيّ لأنهم رأوا في الطلاق باباً واسعاً لشتات العيال وانقطاع حبل المجتمع الانسانيّ . وقد انتصب خطيباً احد المندوبين الاميركيين فدافع عن كرامة الزواج وقبّح تصرُّف الذين يجعلون حدوداً للنسل البشري استنكافاً من واجبات التربية

وكذلك صادق معظم المؤتمرين على مشروع حسن وهو عيالة العَجَزة من الاكليريكيين في شيخوختهم اذ لا يليق بالشعب ان يهمل الذين خدموا نفوسهم وقاموا بمصالحهم الدينيّة

٣ (الكنيسة والهيئة الاجتماعيّة) لم يجد المؤتمر الانكليكاني في هذا الباب المشاكل التي لقيها في تحديد المعتقدات وتنظيم الآداب الكنسيّة وعليهِ لقيت ابحاث هذا الفريق قبولاً واستحساناً . واوّل هذه الابحاث التي خاضوا فيها تهذيب الشبيبة فان العدد الاوفر من المؤتمرين قرّر المحافظة على التعليم الدينيّ « اذ لولاهُ لنُسف اساس المدنيّة نسفاً وعاد الشعب بعد سنين قليلة الى الهمجيّة وعيشة المتوحشين » . وهو لعمري كلام حريّ بالاعتبار نطلب من بعض جهّال بلادنا ان يتأملوهُ قبل ان يدرجوا في الجرائد الوطنيّة مقالات في نفي الدين من المدارس

ونثني ايضاً كل الثناء على مساعي هذا المؤتمر الانكليكاني في بحثهِ عن احوال الفَعَلة لصيانة حقوقهم ونفي الظلم عنهم والسعي بالتوفيق بينهم وبين ارباب المعامل او وُلاة الاشغال واتّخاذ الوسائل لمنع الاعتصابات ولمساعدة العملة في ضيقهم واسقامهم

وقد أقام أفراد من المندوبين الحجّة على بعض قوانين الدولة التي لم تجعل حدّاً لمطامع فئة من الاغنياء الذين يحتكرون الاموال احتكاراً فظيعاً بينما ترى الالوف المؤلفة من الفقراء يموتون جوعاً . وبياناً لذلك قدّم المستر سترربل (Summerbell) جدول تقسيم الثروة في انكلترّة فاوضح انّ عدد اهل بريطانية العظمى يبلغ ٤٣,٠٠٠,٠٠٠ بينهم ٢٠,٠٠٠,١٠٠ في حالة الفقر يعيشون من شغلهم اليومي و ١٢,٠٠٠,٠٠٠ في الفقر المدقع تودي بهم المجاعة . فلا بُدَّ للدولة من وضع سُنن

عادلة لاستدراك هـذا النقص فيكون بعض التوازن بين الطبقات العليا والطبقات السُّفلى . وكذلك قد ازداد عدد الفعلة الذين لا يجدون شغلًا يرتزقون منهُ فبلغ ألفَ الفٍ . فان بقي هؤلاء على هـذه الحالة ماتوا وعيالهم جوعًا او اخلدوا الى الثورات والفتن والاعتصابات . وهو داء يستدعي دواء عاجلًا قبل ان ينقطع الرجاء من شفائهِ

ثم قام بعض الخطباء وطلبوا ان يسعى اهل المؤتمر في ابطـال المراهنات التي تجري في مواسم الخيل لأنهـا اصبحت خطرًا على المهنة الاجتماعيَّة وهي من اتبع المقامرات ولا يزال عدد المراهنين في ازدياد متواصل حتى بلغوا ثلاثين الفًا . واحتج غيرهم على بيع الافيون والمشروبات الروحيَّة في المستعمرات الانكليزيَّة وخصوصًا في الهنـد لانَّ هذه المتاجرة عارٌ على امَّة متمدنة من شأنها ان تسعى في تأديب رعاياها وتبعث بهم الى الترقي والاصلاح

فكلّ هذه الابحاث الاجتماعيَّة والخطب العمرانيَّة قد شرَّفت مؤتمر الانكليكان وما ينقصها الَّا ان تخرج الى عالم الوجود وحيّز العمل

٤ (الكنيسة الانكليكانيَّة بازاء بقيَّة الاديان) انَّ الكنيسة الانكليكانيَّة قبل مائة سنة كانت منحصرةً ضمن حدودها الطبيعيَّة لا تطلب الخروج منها الَّا انَّها رأت كنيسة رومية تسعى في توسيع نطاقها وترسل الى اقاصي العالم ابناءها ليدعوا الى النصرانيَّة الامم الوثنيَّة والطوائف المنفصلة فنجحت ايَّ نجاح . فعوَّلت الرسالات البروتستانيَّة على مجاراتها في هذا الميدان واخذت مذ ذاك الحين تنتشر وتمتدّ وتناصب الرسالات الكاثوليكيَّة وتصرف التناطير المقنطرة لتنفيذ رغائبهـا وانفاذ أتباعها . لكنَّ مساعيها لم تأتِ بالنتيجة المأمولة كما اقرَّ بذلك اصحابها بخلاف الرسالات الكاثوليكيَّة التي تزدهر حيثما يُنشئها المرسلون . ومن ثمَّ تباحث اصحاب مؤتمر لندن في الوسائل لاستدراك الخلل بانشاء المدارس في بلاد الوثنيين ونشر الآداب الانجيليَّـة بينهم . ومما صادقوا عليهِ ان يسعى المرسلون الانكليكان بتربية احداث من الوطنيّين وتهذيبهم وتقليدهم الكهنوت والاستقلَّة نفسها ليجتذبوا مواطنيهم الى الانجيل

ووجَّه الانكليكان نظرهم الى كنائس النصرانيـة المنفصلة عن رومية كالروم والنسطورة واليعاقبة لعلَّهم يقفون على وسائل للتقرّب منها . ومعلوم انَّ لساقفة البروتستانت الانكليز اوفدوا غير مرَّة وفودًا الى الفنار ليوثقوا بينهم وبين الروم عُرى التودُّد لكنَّ

تلك المساعي ذهبت ادراج الرياح. ولمّا عاد المؤتمرون الى النظر في هذا الامر قام اللورد هاليفاكس وبيّن للحضور انّ التقرّب من رومية الزم وأحوج لكنيسة انكلترّة من سواها لحسن نظام الكنيسة الرومانيّة ونفوذ كلمتها وارتباط كل اقسامها برأسها الحبر الاعظم. ثم اوضح لاهل المؤتمر انّ كثيرين من الانكليكان يتوهّمون في جانب رومية اوهاماً لا حقيقة لها فاذا تقرّبوا منها رأَوا زالت تلك المخاوف الباطلة وتحقّقوا انّ تعاليم الكاثوليك ليست كما يتخيّلونها. فبالتقرّب ومبادلة الافكار تنكشف تلك الاوهام ولا يبقى داعٍ للنفور والخصام. حقّق الله تلك الاماني

هذه خلاصة اعمال مؤتمر لندن الذي خُتم بحفلة عظيمة في كنيسة مار بولس في ٢٤ حزيران وفي الختام قدّم الاساقفة لوائح الحسنات التي تبرّع بها رعاياهم للمشروعات الدينيّة وكتبوا في ذلك صكوكاً وضعوها على هيكل الكنيسة الكبير فكان مجموعها ٣٣٣,٢٠٨ جنيه اعني ٨,٣٣٠,٢٠٠ فرنك. وناهيك بكرم المحسنين دليلاً على تعلّقهم بالدين ورغبتهم في تعزيز شؤون كنيستهم

وكانت عاقبة هذا المؤتمر انهُ بيّن لكل ذي عين ما في كنيسة انكلترّة من جراثيم الشقاق والانحلال كيف لا وهي جسم بلا رأس لا يقرّ لايمان ابنائها قرار ويذهبون المذاهب المتباينة في التعليم والمعتقدات والاسرار والكتب المقدّسة وقد قال السيّد المسيح (مرقس ٣:٢٥): «كل بيت ينقسم على نفسهِ لا يمكنهُ ان يثبت»

هذا وكان بودّنا ان نلحق بذكر المؤتمر وصف مجتمع اساقفة الانكليكان الذي لا يحضرهُ غيرهم جعلوهُ كتتمّة للمؤتمر السابق وبحثوا فيهِ عن الامور الدينيّة التي تداول فيها اهلهُ ليقرّروا ما يجب قبولهُ وما ينبغي رفضهُ. وكان عدد الاساقفة المجتمعين ٢٤٢ عقدوا جلساتهم في قصر لمبث. وقد اطّلعنا على اعمال هذا المجمع فاذا هي تتحايد غاية امكانها البحث عن المعتقدات وتقرير الجوهريّات وتثبت الاديانات كما جرى في المؤتمر فلا نرى حاجة الى التكرار

٢ المؤتمر القربانيّ

لم يمرّ على هذا المجتمع الانكليكانيّ ثلاثة اشهر حتى عُقد مجتمع آخر كاثوليكي في حاضرة بريطانية العظمى ألا وهو المجمع القربانيّ

في سنة ١٨٨١ فكّر قوم من مشاهير الافرنسيين ذوي الدين المكين والغيرة الملتهبة في اقامة مؤتمر عمومي يُدعى اليه علماء الكاثوليك من الاكليروس والعالمين ليتداولوا في المباحث المختصّة بسرّ اسرار الكنيسة وركنها الثابت ومركز حياتها في هذه الدار الفانية فجرى ذلك المؤتمر الاوّل في مدينة ليل من اعمال فرنسة بحفلة حافلة توارد اليها نخبة من ائمّة الكاثوليك

ومذ ذاك الحين قد تتابعت تلك الاجتماعات في حواضر اوربة . ويذكر القرّاء المؤتمر الذي عُقد في القدس الشريف سنة ١٨٩٢ وما جرى فيه من الاحتفالات الجليلة التي تصدّر فيها الكردينال لنجنيو واحدقت به البطاركة والاساقفة الشرقيون والغربيون فكان لتلك المظاهر احسن وقع في القلوب

وهذه المؤتمرات تتكرّر سنةً بعد سنة . فكان المؤتمر الثامن عشر في العام المنصرم في مدينة مِنْس تقاطر اليه المؤمنون من كلّ الانحاء ورحبت بلديّة تلك الحاضرة بالمؤتمرين وساعدتهم في كل اعمالهم حتى كان ذلك المجتمع من اخطر واعظم المجالي الدينيّة في هذه السنين الاخيرة

ولمّا نجز ذلك الاحتشاد وبحث اربابهُ عن المكان المناسب للاجتماع التالي ارسل رئيس اساقفة وستمنستر الكاثوليكي السيد بورن (Bourne) الى اللجنة التي تتولّى تدبير هذه المؤتمرات واشار الى لندن كاجدر مكان لعقد المجمع القرباني في سنة ١٩٠٨

اخذ العجب كل من سمع بمقصود السيد بورن وخاف البعض من ان تحول دون مجتمع ديني كهذا عقبات كؤودة ومشاكل جمّة في امّ المدائن البروتستانيّة التي منها نُفي سرّ القربان في اواخر القرن السادس عشر واصبحت تقدمة الذبيحة الطاهرة من اعظم الجنايات يُعاقبها زعماء الاصلاح الانكليكانيّ بالقتل والشنق ولا يزال ملوك انكلترة يوم تتويجهم يقسمون قسماً منافياً لهذا المعتقد بغضاً في كنيسة رومية. فيا تُرى لو عاد الكاثوليك وجدّدوا علانيةً في ظهراني المدينة الاحتفالات بتعظيم الافخارستيا أفلا يتصدّى لهم المتعصّبون للاضاليل البروتستانية . وما ادراك انّهم لا يثيرون الفتن على الكثلكة فيصبح المؤتمر داعياً للمظاهرات العدائية

لكنّ الكاثوليك الانكليز قرّروا ملتمسهم واكّدوا للجميع انهُ لا يحصل من هذا المؤتمر الّا كلّ خير لانّ حرّية الاديان في لندن لا تسمح لاحد من المعادين أن يأتي

ما يكدّر خواطر اتباع الكنيسة الرومانية وعددهم في المدينة يُربي على ثلثمائة الف

ولمّا بلغ مسامع الحبر الاعظم ما اتّفق عليه سراة الانكليز وعمدة المجمع القرباني بارك مشروعهم وعيّن احد كبار امراء الكنيسة الكردينال ڤانوتلي بان يمثّلهُ في تلك الاعياد الجليلة وآزرهُ ببراءة اودعها ارقّ العبارات وألطفها في مديح بريطانية العظمى

كان موعد المجمع القرباني في ٩ ايلول فاستعدَّ لهُ كاثوليك الانكليز استعدادًا اهلًا بمقامهم وغيرتهم . وعيّنوا لحفلات العيد كنيسة وستمنستر الكاثوليكية التي نجز بناؤها منذ زمن قريب وتُعدّ من آيات البناء العصري (اطلب وصفها وصورتها في المشرق ٥ : ٨٧٧—٨٧٨)

فما حان الوقت المعهود حتى توارد الى العاصمة الانكليزيّة مع عدد لا يُحصى من اعيان الكاثوليك من كل الدول الاوربية ثمانمائة من الكهنة و ٦٦ اسقفًا و ١١ مطرانًا وخمسة كاردلة يتقدّمهم القاصد الرسولي نيافة الكردينال ڤانوتلي . وقد اتوا كلّهم بزّاتهم الاكليريكيّة دون ان يلبسوا لبس العالمين كما هو جار حتى اليوم عند الاكليروس الكاثوليكي الاجنبيّ المتوجّه الى انكلترّة

ولا نتعرّض لوصف الاستقبال الفخيم الذي صار لممثّل الكرسيّ الرسوليّ عند وصوله الى محطّة لندن وهي المرّة الاولى منذ ثلثمائة سنة تمسّ قدم النائب البابويّ ارض انكلترّة . فكانت الجماهير المجتمرة تزدحم امام المحطّة وتتسارع الى الشوارع والساحات المجاورة تخالهم في تسابقهم الامواج المتلاطمة وكلهم عيون شاخصة الى انوار مطالع نيافة القاصد . فلمّا ظهرت علت اصوات الهتاف والترحيب فسُمع لها دويّ مهيب

وحضر الاساقفة ووجوه الشعب ورؤساء الجمعيّات الكاثوليكيّة وفي مقدّمتهم جاثليق انكلترّة والدوق دي نورفلك زعيم الكاثوليك الانكليز فرحّبوا بممثّل قداسة البابا وساروا كلهم به بموكب عظيم بعد ان شكرهم الكردينال على استقبالهم الولائي وذكّر لهم ما عهد اليه امام الاحبار من الوكالة ليرأس باسمه هذا المجمع الدينيّ في بلاد تُعدّ اليوم بلاد الحريّة والصدق والتساهل . فصرخ الوف من الحضور « ليعش البابا ليعش صاحب النيافة » . وقد بلغت فخامة ذلك الاستقبال الى حدّ من البهاء والعظمة الى ان قال كثيرون : « انّ الملك نفسهُ لم يرَ قط مثل هذا الاستقبال »

وفي غد ذلك النهار افتُتحت جلسات المجمع في الكنيسة الكاتدرائية فاقام رئيس اساقفة باريس قداساً حبريًا غاية في الابهة مع ايقاع الارغن وأنغام الجوقات الموسيقيَّة المنظَّمة. وكان كل يوم من أيام المجتمع يقيم الذبيحة احد الكرادلة او احد زعماء الطوائف الشرقيَّة بيانًا لاتحاد الجميع في الايمان مع اختلاف الطقوس والرتب الكنسية

اما المواضيع التي تُليت فيها خطب الخطباء ودار عليها محور كلام المتباحثين فكانت كلها ترمي الى غرض واحد السرّ العجيب الذي وضعهُ ابن الله ليكون هو نفسهُ بلاهوتهِ وناسوتهِ تحت احجاب الخبز والخمر رفيقًا البشر في منفاهم وقوتًا لنفوسهم وذبيحة عن آثامهم. فمنهم من اعتبر سرّ القربان في ذاتهِ ومنهم من وصفهُ في مفاعيلهِ وذكر بعضهم انتشار عبادتهِ في انكلترة قبل ظهور البدعة البروتستانيَّة وبيَّن غيرهم الشواهد الطقسيَّة والآثار الكتابيَّة والاعمال الهندسيَّة في الشرق والغرب دلالةً على ايمان قدماء النصارى بهذا السرّ . واعلن الفيكونت لنداف (Llandaff) انَّ قسم ملوك انكلترة يوم تتويجهم ضدّ الافخارستيا ينافي معتقد الانكليز منذ دخول النصرانيَّة بينهم فضلًا عن كونهِ شتمًا واهانة لأخص تبعة الدولة. وقد بلغت الخطب والمقالات التي تُليت في هذا المجمع القرباني نحو الثمانين أتمّها اكبر علماء الكنيسة الكاثوليكية وكان عدد وافر من الاكليروس البروتستاني وزعماء الشيع البروتستانية يحضرون هذه الحفلات فيخرجون وألسنتهم تترطَّب بالمديح على نظام الكاثوليك واتّفاقهم في المعتقدات وسعة مداركهم وعمق ايمانهم ويثنون على كل ما رأوا وسمعوا. ولا غروانَّ مثل هذه الحفلات كخميرة في قلوب اولئك الاخوة المنفصلين لا تزال تعمل في قلوبهم حتى تستنير اذهانهم بنور الحقّ. ولذلك ترى كل سنة بل كل اسبوع قومًا من علماء البروتستانت واكليروسهم ينبذون التعاليم البروتستانية ليرتدّوا الى حظيرة الكنيسة المبنيَّة على الصخرة البطرسيَّة

وتشكَّلت ايضًا بعض لجنات كانت غايتها العمل اكثر منها العلم فبحثوا عن اقرب الوسائل لنشر العبادة نحو السرّ القرباني وعن التناول المتواتر وعن الشركات القربانيَّة وتهذيب الاحداث الذين يخدمون الرتب الدينيَّة . وخطب الدكتور دوره من ليل في طوافات القربان الاقدس في المدن وعدَّد الدكتور بواساري المعجزات

العديدة التي تحدث كل سنة في لورد عند التريبح بسرّ القربان حيث تتوفّر العجائب كما كانت تجري في عهد المسيح لمّا كان ابن الله يشفي كلّ العاهات ويعالج كلّ الاسقام

وكل هذه الخطب علميّة كانت او عمليّة كان يحضرها الوفٌ من السامعين وكانت تُلقى خارجاً عن الكنيسة في اكبر معاهد لندن مثل « البرت هال » او « كاكستن هال » وكانت مع سعتها تضيق عن عدد الوافدين الذين كانوا يبلغون الى حد عشرة آلاف فاذا ظهر النائب البابويّ ضجّت تلك الاندية باصوات الهاتفين فرحاً واجلالاً.

وكان بعض الكاثوليك يبكون لفرحهم ويقولون : « زهكم اختلفت الامور في لندن منذ نصف قرن. قبل خمسين سنة ما كنّا نمرّ في شوارع المدينة الّا تتناوبنا الاهانات لاجل ديننا واليوم نرى الكنيسة الكاثوليكية ممجّدة معظّمة في قلعة البروتستانيّة وحصنها »

*

وقد خُتمت هذه الاجتماعات بحفلتين جليلتين قد عملتا في النفوس عملاً لا يمحوه منها كرور الأيام

فالحفلة الاولى خُصّت بتلامذة المدارس الكاثوليكيّة وكان عددهم عشرين الفاً اوفدهم رفقتهم من كل جهات انكلترّة وسكوتيا وارلندة لينوبوا عنهم في تقدمة فرائض الاكرام للقاصد الرسولي. فلمّا كان يوم السبت ١٢ ايلول مشى اولئك الاحداث بترتيب ونظام في شوارع لندن. ولكل قسم منهم شاراتهُ وليسهُ الخاصّ وفوق رؤوسهم تخفق الرايات والاعلام الدينيّة والمدنيّة . وكان هؤلاء الصغار من كل طبقات الأمة بينهم اولاد الاغنياء بملابسهم الفاخرة والفقراء بأسمالهم ليكون فقرهم دليلاً للناظرين على عناية الكنيسة باهل الثروة والبائسين على حدّ سواء. وتلقيناً للفقراء بأن لا يخجلوا من فقرهم الذي لا يصدُّهم من التقرُّب الى ابن الله في سرّ محبّته وهو آثر الفقر على الغنى والى نوّابه على الارض المردّدين لقوله : الطوبى للمساكين

وكان هؤلاء الاحداث يسيرون وهم يترنّمون بالاغاني التقويّة لاكرام القربان الاقدس فكان كلّ من يشاهدهم في مسيرهم يقفون ويتعجّبون من هذا المنظر الغريب الذي قلّما رأوا مثلهُ في عاصمة انكلترّة. وكان القاصد الرسولي واقفاً فوق شرفات الدار الاسقفيّة فمرّ الصغار امامهُ وحيّوهُ بهتافات التهليل والسرور وكان نيافة

الكردينال يردّ لهم السلام ويباركهم بحنوّ ولطف ابويّ فلم يتمالك السابلة من ذرف الدموع لدى هذا المشهد المؤثر

ثم دخل ذلك الجمهور من الاطفال في كنيسة وستمنستر فقام جاثليق ارانده الكردينال لوك (Logue) فألقى عليهم خطبة مناسبة لسنهم اهتزّت لها ارواحهم وطربت قلوبهم فأجابوهُ شاكرين باصوات مفعمة بعبارات الحبّ والرقّة . وكان لتلك الحفلة اي وقع في نفوس كل الحضور وزاد اعلهم في ترقي الكثلكة في كل جهات انكلترّة لحسن تربية شبيبتها ونشوّهم على اصول الدين والتُّقى

اما الحفلة الثانية فكان موعدها اليوم التالي اي الاحد الواقع في ١٣ ايلول في عصر النهار. وكان ارباب المجمع نشروا في لائحتهم انهُ يصير في ذلك اليوم طوافٌ عمومي يحمل فيه النائب البابويّ القربان الاقدس في شوارع لندن . وكان الكاثوليك ينتظرون ذلك اليوم بفروغ الصبر ليعلنوا بايمانهم الحيّ بازاء اخوتهم المنفصلين. غير انَّ بعض المتطرّفين من البروتستانت اظهروا استياءهم من هذا الطواف الذي اعدُّوهُ كلامة لتزوعهم عن ديانة اجدادهم فطلبوا من الكاثوليك باسان بعض الجرائد ان يكفُّوا عن طوافهم. لكنَّ رؤساء المؤتمر لم يجدوا داعياً لتغيير ما دوَّنوهُ في لائحتهم اذ تعهَّدوا انهُ لا يحصل من ذلك البتة تشويش الراحة العمومية لاسيما ان حريَّة الاديان تسمح لكل الشيع بالطوافات المذهبيَّة

فلم يقنع اولئك المتعصبون بهذا الجواب ولم يزالوا يسعون لدى كبير الوزراء المستر أسكيث فكتب الى عمدة المؤتمر يطلب منهما رسمياً بالعدول عن التطواف بالقربان فأعلن رئيس اساقفة وستمنستر بهذا الحكم لكاثوليك لندن في مجتمع خاصّ دُعوا اليه. فكان لهذا النبإ في قلوبهم اسوأ تأثير ولولا الكردينال بورن وامرهُ لهم بالطاعة والسكون لكانوا خرجوا الى دار النذرة وطالبوا بحقوقهم من رئيس الوزارة وكان عددهم عشرة آلاف

على انَّ نيافة الكردينال لم يُرد بحرم الكاثوليك من مظاهرة أخرى لا بأس منها فاتفق مع رؤساء المجمع القربانيّ بان يتمّ الطواف في وقته دون القربان الاقدس وانما تُمنح بركة القربان من باب الكنيسة من مصطبتها الخارجة

فعند ظهر الاحد اخذت الجماهير تتألب الوفا الوفا وربوات ربوات بازاء الدار

الاستفية وبقوا كلهم ينتظرون الحفلة ثلاث ساعات متواليات لم يسأمهم الملل ولم يضعف مزيتهم الكلل وكانوا في اثناء ذلك يتغنون باغانيهم التقوية التي تعلموها في حداثتهم وكان كثيرون غيرهم يزينون بيوتهم حيثما يمر الموكب. فلما ازفت الساعة سارت تلك الجموع بصفوف متوالية متتالية متزاحمة وعلى وجوههم امارات التحمس والتقى كانهم ماشون في طواف القربان. وكان الصليب يتقدم القوم وفي اثره فتيان باللباس الرسمي

وتبعت الجموع كل الشركات الخيرية واعضاء الشركات الصناعية وكان لكل مقاطعة ومدينة وفودها مع أعلامها وشاراتها كما انه يتقدم كل رعية كاهنها بثيابه الاكليريكية . وقد بلغت المسافة التي كانت تشغلها تلك الجموع المتراصة نحو الكيلومترين ما خلا الذين اتوا لمجرد الفرجة

وكانت العيون شاخصة الى موكب الاكليريكيين من شامسة وكهنة واساقفة ورؤساء اساقفة بزاتهم الخاصة بمقامهم وكان بينهم ممثلو الكليات الكاثوليكية ورؤساء الرهبانيات العامون بثيابهم الذهبية. وكان هناك مكان خاص للمندوبين من الكاثوليك في ندوتي الدولة الانكليزية اعني مجلس الشيوخ ومجلس العموم وانضم اليهم اثنان من المجلس الافرنسي

وكان نيافة الكردينال فانوتلي يسير في اثر القوم تحدق به حاشيته وعلى جانبيه الكرادلة الخمسة. وقد أحصي عدد الماشين في هذا التطواف فقالت جريدة التيمس انه بلغ الثلاثمائة الفا وقد زعمت جرائد اخرى انه لم يقل عن نصف المليون. ومع كثرة هذه الجموع وعدد تلك الجماهير المتراكمة لم يحصل ما يكدر الخواطر . وكان الشرط يسيرون على جانبي الموكب ليحافظوا على النظام

وكذلك حشود البروتستانت فكانوا على طرفي التطواف يتزاحمون ليعاينوا هذه المظاهرات ولم يبدُ منهم ما يدلّ على عداء او مناوأة الّا في مكان واحد فاسرع الشرط واسكوا المعاندين

ولما بلغ الموكب الى الكنيسة دخل منهم من امكنه الدخول ثم أقيمت الرتب فبارك القاصد الرسولي بالقربان الاقدس كل الحضور ثم خرج فطاف به حول الكنيسة وعرضه لاكرام الشعب الواقف خارجاً بعد أن صدح الالوف منهم بترنيمة السجود وتسبحة الشكر

كتب مراسل الفيغارو واصفاً لهذا الطواف فقال: « لم ارَ في حياتي جماهير كهذه الجماهير ولا وقع لحظي على مظاهرات مثل هذه للظاهرات ولا اظنني مبالغاً اذا قلت انَّ عدد المتألبين حول الكنيسة وفي جوارها يناهز الخمسمائة الف بل يُربي عليها »

وقالت الستندرد الانكليزيَّة : « لم يسبق لانكلترَّة البروتستانيَّة ان رأت قطّ مشاهد وطقوساً تحاكي المشهد والطقس اللذين تجليا لاعيننا يوم الاحد في ختام المجمع القربانيّ وكانا من الترتيب والنظام والرونق والأبهة بمكان ليس بعده غاية لمتطلب » . ثم زادت الجريدة متأسفةً على اهمال الطواف بالقربان فقالت: « ومن المعلوم انَّ الظروف قضت بتحوير لائحة هذا الاحتفال وترك ما كان اولاهُ ابهةً اعظم ومع ذلك قد كان رونقهُ بديعاً وتأثيرهُ عظيماً »

هذه لمحة في تلك الحفلات الشائقة التي اقامها الكاثوليك في لندن في اواسط ايلول الاخير وكلُّ من حضرها قد افاض في وصف عظمتها . وكتب أحد اعلام الفرنسويين في مجلَّة المباحث انهُ عدَّ هذا المؤتمر كتعويض علنيّ لكلّ الاهانات والشتائم التي نفثت بها افواهُ المبتدعين وأقلام المتشايعين منذ انفصال انكلترَّة عن كنيسة رومية ضدَّ القربان المقدس

وكان ارباب المجمع اجلالاً لهذا السرّ الالهيّ وتكفيراً عن الاثام التي ارتكبها المراطقة في حقّهِ عرضوهُ في معبدٍ خاصّ تأنَّقوا في زينتهِ لسجود المؤمنين فكانوا يتواردون ليلاً مع نهار دون انقطاع البتَّة لاكرامهِ وتبجيلهِ . ومن غريب الاتفاق الذي رأى فيهِ جميع المؤتمرين اصبع الله انَّ الجوهرة المقدَّسة جُعلت في صوانٍ بديع الصُّنع غالي الثمن مرصَّع بالحجارة الكريمة كان هنريكوس الثامن ملك انكلترَّة تقدَّم باصطناعهِ الى احذق الصاغة في لندن فلمَّا انجزوهُ قدَّموهُ للملك وهو يومئذٍ لم يعقّ امَّهُ البيعة الكاثوليكية فاهداهُ كنيسة السيدة في تورناي من اعمال بلجكة بعد فتحهِ لهذه المدينة . فبقيت هذه الذخيرة الثمينة في خزانة تلك الكنيسة الى يومنا فاراد رئيسها الحالي ان يعيرها للجنة المؤتمر ليُعرض فيها القربان الاقدس ويُكرم علانيةً كأن الله اراد ان يكرن ذلك الصوان شاهداً على جحود هنريكوس لايمانهِ المقدَّس ورابطاً جديداً بين بريطانية المعروفة قديماً بارض القديسين وانكلترَّة الجديدة العائدة الى المعتقدات الرومانية

كما ورثتها من مبشّرها الاوّل اوغسطين رئيس اساقفة كنتربري وتلميذ البابا غريغوريوس الكبير رسول الانكليز

الالفاظ السحريّة

نظر للأب لويس شيخو اليسوعيّ (تابع)

٣ الاخاء

ما أحلى اسم الاخ على لسان من عرف المؤاخاة وعاش في رفقة الصديق الصدوق الذي يُنزل نفس صاحبه بمنزلة نفسه فلا يدّخر وسعًا في خدمته والافراج عن بلائه ومدّ ايدي المساعدة اليه في كل حاجاته حتى يضحّي النفس والنفيس في سبيل صالحه. فقد شبّه الكتاب الكريم الاخوين اللذين يعيشان في مثل هذا الوفاق بمدينة حصينة لا يقوى عليها العدوّ. او قل بالحري انهما جسمان في نفس واحدة كما وصف سفر الملوك صداقة داود ويوناثان حيث قال عن هذا (١ ملوك ١٨: ١) انّ نفس يوناثان تعلّقت بنفس داود واحبّهُ يوناثان كنفسه. وقال عن ذاك (٢ ملوك ١: ٢٦) انهُ احبّ يوناثان كحبّ الامّ لابنها الوحيد

ذلك هو الاخاء الذي وضع الخالق اساسهُ في قلوب البشر لمّا استلّ الامّ الاولى من ضلع آدم ثمّ جعل الابوين الاوّلين جذرًا تتفرّع منهُ الاسرة الاولى ثم العشيرة ثم القبيلة ثم الأُمّة ثم الشعوب كلّهم. فكفى بذكر الانسان لاصله ليسعى في مؤاخاة قريبه وملازمة ابناء جنسه. قد قال الشاعر الروماني تيرنسيوس بيتًا من الشعر يردّدهُ كلّ من يشاء مناصفة البشر:

اني لانسانٌ انا وجميعُ ما جمعٌ بني جنسي اعدُّهُ من نفسي

على انّ هذا النظام الاوّل الذي كان الله انشأهُ لم يبقَ على اصله فانّ عدوّ جنسنا لم يُطق ذاك الوفاق « وهو من البدء قتّال الناس » (يوحنا ٨: ٤٤) فسعى بفصل ما جمعهُ الله من اوّل العالم فتغلّب في قلب الانسان حبّ الذات على حبّ القريب ونفث في